

**واقْتَرَبَ الرَّحِيلُ**

**(قصة واقعية)**

بينَما الإنسانُ في هذه الدنيا يتنعمُ بنعيمِها ويتلذذُ بما فيها، بينما هو لاهٍ في دنياه، مشغول في عمله، يلهو مع أولادِه وزوجِه، بينما هو منشغل في هذه الدنيا، فجأة إذا هو يرى من أمامه، مَنْ هذا؟ إنه مَلكُ الموت؛ كُلٌّ مِنَّا سيمرُّ بهذه اللحظة، كُلٌّ منا سيأتيه يومٌ يرى أن دقَّاتَ قلبِه وكأنَّه يسمعها وكأنه يعدّها عدًّا، كلٌّ منا سيأتيه يوم يشعرُ بقدميه تبردان، تخرج منها الروحُ شيئًا فشيئًا، تخرج الروح أولًا من الرجلين ثم الساقين ثم ترتفع شيئًا فشيئًا وآخر شيء تخرج منه الروح هو العينين، هذه آخر نظرة إلى الدنيا، يفتح يديه لأنَّه لا يستطيع أن يأخذَ شيئًا منها؛ إنها اللحظة التي سنفارقُ فيها هذه الحياة، سنفارقُ الأولاد والأهل والأقارب.

هل استعدينا لهذه اللحظة؟

نتكلم اليوم عن إنسان كان يعيش بيننا نَحْسَبُهُ من الصالحين ولا نزكِّيه على الله، كان مُحبًّا لله و لرسوله صلى الله عليه وسلم، ساعيًا في الخير، حريصًا على خدمة المسلمين، كان في شبابه شخصًا عاديًا مُقبلًا على الحياة، بعد زواجه بنحو عام، توفيت أمُّه فبدأ يراجع نفسه، يراجع حاله مع الله، و كان له صديق ملتزم، كثيرًا ما كان يكلمه على الالتزام، بعد وفاة أمه بدأ يبحث عن مسجد سلفي، بدأ يحضر الدروس، ويجتهد في طلب العلم درس بعد الفجر و درس بعد العصر، وآخر بعد العشاء، لم يتخلف عنها إلا نادرًا جدًا، و بدأت من هنا حياته مع الله -عز وجل- وعمله لدين الله -تبارك وتعالى- حتى لقى الله على ذلك، حتى آخر يوم في حياته.

في يوم الجمعة، وبعد انتهائه من صلاة الجمعة في المسجد، ذهب إلى بعض أعماله فإذا به يشعر بألم في صدره، بدأ يوصي زميله على بعض الأعمال ويعرِّفه بأمانات الناس، بالرغم من أنه كان مريضًا ويشعر بالتعب، اتصل بزوجته فحضرت إليه، ذهب إلى المستشفى وأثناء الطريق كان يتلطف مع السائق ويدعوه إلى الله، وكان هذا من عادته، كما سنعرف فيما بعد (موضوع الفلاشة)، وصل إلى المستشفى بعد أذان العصر، قالوا له ادخل للطبيب أولًا ثم صلِ العصر، قال: لا، أصلي في المسجد أولًا ثم أدخل للطبيب.

وبعد الكشف وعمل رسم قل، قال له الطبيب ذبحة بسيطة جدًا تحتاج فقط بعض الأدوية (للسيولة) حتى لا يحصل تجلط في أي شريان وسيخرج غدًا بإذن الله.

استقبل الخبر برضا وحمد الله ثم جلس يقرأ الأذكار وبعد ذلك أعطاه الطبيب بعض الحبوب، فشعر بتحسن وزال عنه الألم، دخل غرفته، أُذن لصلاة المغرب فنزل على السلم وهو متعب وكان المصعد قد أغلق حتى يصلي في مسجد المستشفى، أمر الصلاة كان مهمًّا جدا عنده، تقول زوجته لو وُضع الطعام وكان طوال اليوم لم يأكل شيء وأُذن للصلاة يترك الطعام وينزل للصلاة وربما لا يعود إلا بعد ساعات طويلة.

بعد الصلاة كان أحد المرضى معه في الغرفة رجل كبير السن وأولاده يحاولون أن يطعموه وهو يرفض فقال لهم اتركوه وبدأ يلاطفه ويطعمه، بعد الصلاة قعد يقرأ القرآن حتى قال لمن معه في الغرفة أشعر بتعب سوف أنام، وبعد فترة جاءت الممرضة فوجدته قد مات، رحم الله الشيخ صادق وغفر له.

هكذا الموت يأتي فجأة، الموت حقٌّ لابد منه مهما طال الزمان أم قصر، الموت حقيقة لابد منها.

أين الملوك والأثرياء؟ أين الأغنياء والأصحاء؟ أين المشهورون والنجوم؟ أين الأنبياء والصالحون؟ بل أين الكفار والفجار والمجرمون؟، الكل سيموت.

النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ" (الزمر:30).

**عن مالك بن دينار –رحمه الله قال:**

**أتيتُ القبورَ فناديتُها -أينَ المعظَّم والمُحْتَقَرْ**

**وأين المدِلُّ بسُلْطانِهِ -وأين المزكَّى إذَا ما افْتَخَرْ**

 **فنُوديتُ من بينها ولم أَرَ أحداً: قال**

**تَفانَوا جميعاً فما مُخبرٌ -وماتوا جميعاً وماتَ الخَبَرْ**

**وَصَاروا إلى مَالِكٍ قَاهرٍ -عَزِيزٍ مُطَاعٍ إذا مَا أَمَرْ**

**تروحُ وتغدو بناتُ الثَّرى -فَتَمْحُوا محاسنَ تلك الصُّوَرْ**

**فيا سائلي عن أُناسٍ مَضَوْا -أما لَكَ فيما ترى مُعتَبَرْ**

**لقدْ ثلّدَ القَوَم مَا قَدَمُوا -فإمّا نَعِيمٌ وإمّا سَقرْ**

 **فرجعت وأنا أبكي[[1]](#footnote-1): قال مالك**

هذا هو الموت، لا يُفرق بين غنيٍّ وفقير، وصحيحٍ ومريض، وصغيرٍ وكبير، وإنسانٍ مستعد وآخر غير مستعد.

موت الفجأة من علامات الساعة.

الموت لابد منه، لكن المشكلة على أي حال ستموت؟ (إنما الأعمال بالخواتيم)، من الناس من يموت ساجدًا راكعًا مُلبِّيًا، ومنهم من يموت شاربًا للخمر، أو عاقًّا لأمِّه، أو هاجرًا للصلاة،.......

 قال تعالى: "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)" سورة القلم.

- **لماذا وُفق الشيخ صادق -رحمه الله-لهذه الخاتمة؟**

لأنه من عاش على شيء مات عليه، هذه مشاهد من حياته رحمه الله، **أمَّا عبادتُه:** فكان حريصًا على الصلاة وعلى الصف الأول في الجماعة، حريصًا على النوافل وعلى قيام الليل، لا يترك قيام الليل أبدًا مهما كان مُتعبًا حتى لو عاد من سفر يصلي بالليل، زوجته تقول: كان ينام كل ليلة ثلاث ساعات فقط.

**الصدقة؛** كل يوم في صلاة الفجر يضع في صندوق المسجد ١ج يداوم على ذلك، لم يدخل مرة إلا ويضع في الصندوق صدقة، أحيانًا كان يعطي رواتب للفقراء من ماله الخاص، ثم يقترض هو لينفق على أولادِه وأسرتِه.

مرضت زوجته في يوم من الأيام وكان هناك اشتباه في وجود ورم فقال لها: نتصدق حتى يشفيكِ الله فتصدقت هي، ولما عاد سألها بكم تصدقتِ؟ قالت: بكذا، قال: فقط؟! أنا تصدقت ب ٥٠٠ ج ولو كان معي الآلاف التي يحتاجها الناس في إجراء عمليات لدفعتها لهم.

كان حريصًا على مجالس العلم، يجلس متعلمًا متواضعًا، كان مداومًا على صيام اثنين وخميس وثلاثة أيام من كل شهر.

ورد القرآن لا يتركه أبدًا مهما حصل، يقرأ في السيارة وهو ذاهب إلى العمل، دائمًا يُرى ممسكًا المصحف، كان حريصًا على الاستخارة في كل الأمور حتى لو شيء بسيط.

أذكار الصباح والمساء، تعليم الأولاد الصلاة والقرآن.

**أخلاقه ومعاملته مع الناس:**

 زملاؤه في العمل يُجمِعون على حسنِ أخلاقه ومعاملاته وكذلك في المسجد، ولا يسمع بصاحب حاجة إلا ويسرع لقضائها وكأنَّها تخصُّه، ولا يسمع بمريض إلا ويسارع لزيارتِه ويخبر إخوانه بذلك حتى عاد بعضهم قُبيل وفاتِه بيوم أو في نفس اليوم الذي مات فيه.

كان أمينًا -رحمه الله-يكتب كل شيء في حسابات العمل بينه وبين شركائه، حتى كوب الشاي الذي يشربه، كان مسؤول عن مكتبة لبيع الكتب والملابس الإسلامية، تقول زوجته: لو احتجت ورقة أو قلم يقول: (اكتبيه، هذه الأشياء ليست ملكًا لنا وحدنا معنا شركاء في المكتبة).

**صلة الرحم:** كان يسأل عن جميع أهله، كان معهم في الأفراح والمشاكل لا يتركهم أبدًا.

**دعوته:** لم يكن يعطي محاضرات أو دروس في المساجد لكن كان نشيطًا في الدعوة إلى الله، بأخلاقه طيبة وسلوكه الحسن، كان مثالًا رحمه الله لطالب العلم التقي النقي الخفي الصادق.

وكان له طريقة لطيفة في الدعوة، يركب مع سائق التو كتوك، يسلم عليه، يسأله عن اسمه ثم يقول أنت متزوج؟ يقول: لا، يبتسم ويدعو له قائلا:" يا رب جوّزه، قول يا رب، ربنا قادر على كل شيء، اطلب من ربنا"، ثم يقول له:" نطلب من الله ونحن نطيعه، فلو استبدلت الأغاني بالقرآن، كل حرف بعشر حسنات إلى ٧٠٠ ضعف، ويا سلام لو معك راكب سيعمل معصية وسمع الدرس يرجع عنها، يكون في ميزانك"، ثم يعطيه فلاشة عليها قرآن ودروس دعوية.

هكذا كانت خاتمته، لأنه كان مجتهدًا في العبادة والدعوة والعمل لدين الله، بعد موته عُيِّن مكانه في المسجد (خمسة) ليقوموا بعمله، كان يعمل في الشركة، المكتبة، الجمعية الخيرية، هذا بالإضافة لشئون بيته وأولاده وأسرته.

كان له نشاط كبير في القوافل الدعوية، كان بشوشًا -رحمه الله-لا تفارقه الابتسامة، دائمًا يقول: أبشر، وهذه الابتسامة لم تفارقه وهو يُغَسَّل، هكذا كانت حياته طاعة لله -عز وجل-، نسأل الله أن يرحمه ويغفر له.

من علامات الساعة موت الفجأة فلتستعد، ليستعد كل واحد منا لأننا لا ندري متى سنموت، قال تعالى:" وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ "(سورة لقمان:34).

أسألكِ بالله هل أحد مِنَّا يعلم أين سيموت؟ هل بالمستشفى، هل بالبحر، هل وهو يمشي في الطريق، هل في السيارة؟ هل في البيت مع عيالك وأهلك؟ الله أعلم.

فجأة ينتهي كل شيء، بلا مقدمات، بلا تحذير، قال تعالى:" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" سورة آل عمران:185). )

الموت: هذه نهايتُنا، هذا مصيرُنا، الموتُ لابد منه، الموتُ أمر مفزع مقلق، فهل استعد الواحد منا لتلك اللحظة التي قد تكون أقرب مما نتصور.

**كيف نستعد؟**

**أولًا: توحيد الله -عز وجل-:**

حقق توحيد الله، تعلق بالله وحده في دعائك، في عبادتك، في سؤالك،" إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ"[[2]](#footnote-2)

عند الشدة تلجأ إليه وحده، لا تقولي مدد يا مرسي ولا مدد يا بدوي، ولا تذهب تطوف بالقبور وتصلي وتدعو عند القبور كما يفعل بعض الجهال، العبادة حقٌ لله وحده، قال صلى الله عليه وسلم:" حَقَّ اللَّهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا"[[3]](#footnote-3)

العبادة: الصلاة، الدعاء، الخوف، الرجاء، التوكل، الاستعانة، الاستغاثة، الذبح، النذر، قال تعالى:" فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ" (سورة الكوثر:2)، وقال صلى الله عليه وسلم:" لَعَنَ اللَّهُ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ"[[4]](#footnote-4)

(لا تذهب لساحر ولا كاهن ولا عرَّاف ولا تتعبد عند قبر)

التوحيد يغفر الله-إن شاء-لمن مات موحِّدًا ولا يغفر لمن مات مشركًا، قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ" (النساء:48).

قال اللهُ تعالى في الحديث القدسي: "يا ابنَ آدمَ! إِنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ على ما كان منكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! لو بلغَتْ ذنوبُكَ عنانَ السماءِ ثُمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولَا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ! لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا ثُمَّ لقيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقُرابِها مغفرةً"[[5]](#footnote-5)

وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن ماتَ يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ "[[6]](#footnote-6).

الشرك: أعظم الظلم، قال تعالى: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (سورة لقمان: 13).)

وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قال: سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: " أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ"[[7]](#footnote-7).... الحديث، فاحذر من الشرك، كبيره وصغيره.

**ثانيًا: احذر ترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها:**

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، الصلاة صلةٌ بين العبدِ وربِّه، عماد الدين، قال تعالى:" فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)" (سورة الماعون).

 وقال صلى الله عليه وسلم: " العَهْدُ الَّذي بينَنا وبينَهُمُ الصَّلاةُ، فمَن ترَكَها فقد كفرَ "[[8]](#footnote-8)

 وعن المسورِ بنِ المخرمةِ وابنِ عباسٍ: أنهما دخلا على عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ حين طُعِنَ فقال: الصلاةَ، فقال: "إنَّهُ لا حظَّ لأحدٍ في الإسلامِ أضاع الصلاةَ “، فصلى وجُرْحُه يشعبُ دمًا، رضيَ اللهُ عنهُ[[9]](#footnote-9)

قال تعالى:" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ" (سورة البقرة: 238).

تشتكي من ضيق الرزق وغلاء الأسعار ومشاكل الأولاد وأذى الناس وأنت تؤخر الصلاة عن وقتها؟!

**ثالثًا: فعل الطاعات والقربات:**

**- برّ الوالدين، صلة الرحم، ذكر الله في كل الأوقات، ذكر الدخول والخروج من البيت، أذكار الصباح والمساء.**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ"[[10]](#footnote-10)

كل الدنيا وما فيها!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن قَرأَ آيةَ الكرسيِّ دُبَرَ كُلِّ صلاةٍ؛ لَم يَمنعْه مِن دخولِ الجنَّةِ إلَّا أن يَموتَ "[[11]](#footnote-11)، أي بعدَ انْتِهاءِ كُلِّ صَلاةٍ فَريضَةٍ والتسليمِ منها.

قال صلى الله عليه وسلم:" ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ بسمِ اللهِ الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليمُ ثلاثَ مراتٍ فيضرُّه شيٌء"[[12]](#footnote-12).

أبواب الطاعات كثيرة وسهلة، الجنة ميسرة، رحمة الله واسعة؛ فلماذا حرمت نفسك؟

قال صلى الله عليه وسلم:" يا أَيُّها الناسُ! أَفْشُوا السلامَ، وأطْعِمُوا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نِيَامٌ، تَدْخُلوا الجنةَ بسَلامٍ"[[13]](#footnote-13)

 -**كظم الغيظ والعفو والصفح،** قال تعالى:" وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)" (سورة آل عمران).

 -**حسن الخلق:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من أُعطِيَ حظَّه من الرِّفقِ فقد أُعطِيَ حظَّه من الخيرِ ومن حُرِمَ حظُّه من الرِّفقِ؛ فقد حُرِمَ حظُّه من الخيرِ. أثقلٌ شيءٍ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ حُسنُ الخُلُقِ، وإنَّ اللهَ لَيبغضُ الفاحشَ البذِيءَ"[[14]](#footnote-14).

قال أيضًا صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرجلَ لَيدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه درجةَ القائمِ باللَّيلِ، الظامئِ بالهواجِرِ"[[15]](#footnote-15).

قال ابن المبارك: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكفّ الأذى.

**-مساعدة المحتاجين، والسعي على الأرامل والمساكين**، قال صلى الله عليه وسلم:" السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوِ القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ"[[16]](#footnote-16)

 **-قراءة القرآن:** قال صلى الله عليه وسلم:" اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ"[[17]](#footnote-17).

**-مجالس العلم:** قال صلى الله عليه وسلم:" ما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ"[[18]](#footnote-18)

 **-الدعوة إلى الله:** قال صلى الله عليه وسلم:" فَواللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ "[[19]](#footnote-19).

 **-إماطة الأذى عن الطريق:** قال صلى الله عليه وسلم:" لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ "[[20]](#footnote-20).

**-** **الاستغفار:** قال صلى الله عليه وسلم:" مَن أَحَبَّ أن تَسُرَّه صحيفتُه، فَلْيُكْثِرْ فيها من الاستغفارِ"[[21]](#footnote-21).

**-** **الإصلاح بين الناس، صلاة الضحى، قيام الليل ولو ركعتين، الصدقة ولو بشيء يسير ولو بشق تمرة** (الله ينميها حتى تصير كالجبل).

قال صلى الله عليه وسلم:" مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولَا يَقْبَلُ اللَّهُ إلَّا الطَّيِّبَ، وإنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ"[[22]](#footnote-22)

(فمَن تَصدَّقَ بقِيمةِ تَمرةٍ مِن كَسْبٍ طيِّبٍ حَلالٍ -ولا يقبَلُ اللهُ إلَّا الكسْبَ الحلالَ-فإنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالَى يَتقبَّلُها بيَمينِه، وكِلْتَا يَدَيْه تعالَى يَمِينٌ مُبارَكةٌ، ثمَّ يُنَمِّيها ويُضاعِفُ أجرَها لِتَثقُلَ في ميزانِ صاحبِها، كما يُربِّي المرءُ مُهْرَه الصَّغيرَ مِن الخَيْلِ، حتَّى تَكونَ تلك الصَّدقةُ مِثلَ الجبَلِ)[[23]](#footnote-23).

وقال صلى الله عليه وسلم:" كلُّ امرئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِه حتى يُقْضَى بين الناسِ". قال يزيد:" فكَانَ أبُو مرثدٍ لا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إلَّا تَصَدَّقَ فيهِ بِشيءٍ، ولَوْ كَعْكَةً أوْ بَصَلَةً "[[24]](#footnote-24).

("قال يَزيدُ"، وهو ابنُ أبي حَبيبٍ راوي الحديثِ: "فكانَ أبو الخَيرِ مَرثَدٌ"، وهو مَرثَدُ بنُ أبي عَبدِ اللهِ اليَزنيُّ راوي الحديثِ عن عُقْبةَ بنِ عامِرٍ رضِيَ اللهُ عنه، "لا يُخطِئُهُ يَومٌ"، فلا يَمُرُّ يَومٌ عليه، "إلَّا تَصدَّقَ فيه بشَيءٍ، ولو كَعْكةً أو بَصَلةً"، بمَعْنى أنَّه كان يَمتَثِلُ للأمْرِ بالصَّدَقةِ، فكانَ يَتَصدَّقُ كُلَّ يَومٍ، ولو بأيسَرَ ما يَجِدُهُ مِثلَ الكَعْكةِ أو البَصَلةِ من البَيتِ طَمَعًا في هذا المَوقِفِ، وهذا الثَّوابِ يَومَ القيامةِ)[[25]](#footnote-25).

**رابعًا: ترك المعاصي والمحرمات:**

(١) الشرك ووسائله، (دعاء غير الله، تعليق التمائم، الحلف بغير الله، اتخاذ القبور مساجد، التوسل بجاه فلان، التشاؤم،.....ومنها تقديم النذور والصدقات إلى قبر ميت تقرباً إليه، أو إلى سدنة القبر، أو إلى الفقراء الذين يذهبون إلى القبر، وكان يفعل ذلك تقرباً إلى الميت، فهذه كله من الشرك)

(٢) السحر.

(٣) أكل الرِّبا.

(٤) أكل مال اليتيم.

(٥) النياحة على الميت.

(٦) سب الدهر.

(٧) كلمة "لو" على سبيل الاعتراض على القدر.

(٨) مصافحة المرأة للرجال الأجانب (غير محارمها).

(٩) البدع؛ الأربعين على الميت، زيارة القبور في الأعياد، الأعياد المبتدعة (المولد النبوي، الاحتفال بيوم الهجرة، الاحتفال بعيد الأم).

(١٠) التشبه بالنصارى والاحتفال بأعيادهم، شم النسيم، رأس السنة، وتهنئتهم بأعيادهم الشركية.

(١١) النظر المحرم والكلام المحرم والسمع المحرم مثل الاستماع للموسيقى والغناء.

وغير ذلك من المعاصي والذنوب التي تحول بين العبد وبين ربِّه-عز وجل-وقد تكون سببًا في سوء الخاتمة، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وأن يتوفَّانَا وهو راضٍ عنَّا.

**خامسًا: الصبر على البلاء:**

قال تعالى:" إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ " (سورة الزمر:10).

قال صلى الله عليه وسلم:" ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى، مَرَضٌ فَما سِوَاهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَهَا "[[26]](#footnote-26)

"يقولُ اللَّهُ تَعالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلَّا الجَنَّةُ"[[27]](#footnote-27)

قال تعالى: "وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ " (سورة آل عمران: 146)

الصبر جزاؤه الفوز بالجنة؛ قال تعالى:" إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُون"(سورة المؤمنون:111).

واعلم أن الدنيا دار بلاء واختبار وإلا لم أُلقيَ إبراهيمُ-عليه السلام-في النار وابتلى في ذبح ابنه، ويعقوب-عليه السلام-يبكي حتى يذهب بصرُه، وموسى يقاسي فرعون وظلمِه، ومحمد صلى الله عليه وسلم يصابر ويجاهد ويمرُّ الشهرُ والشهران وليس يوقد في بيتِه نارٌ، وليس عنده طعام سوى التمر والماء، ويموتُ له ثلاثةٌ من الأولاد الذكور في حياتِه، وتُقذف زوجتُه عائشة -رضي الله عنها-ويُقتل أصحابُه وأحبابُه، قال صلى الله عليه وسلم:" الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وجَنَّةُ الكافِرِ"[[28]](#footnote-28)

اصبر حتى تؤجر، اصبري حتى تؤجري.

ورأى علي بن أبى طالب رضي الله عنه أحد المبتلين فقال له: " يا عدي، إنه من رضي بقضاء الله جرى عليه فكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه فحبط عمله".

 قضاء الله نافذ وأمره واقع لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ولكن العبد يخسر أو يربح فكن من الرابحين ولا تكن من الخاسرين، اصبر وعليكِ بالدعاء**،** اصبر ولا تشتكي الله إلى خلقه، الله حكيمٌ في قدره، ما ابتلاك ليهلكك أو ليعذبك ولكن ليختبرك ويغفر لك ذنوبك ويرحمك، ليمتحن صبرك ورضاك وابتهالك ودعائك فإذا وُفقت لذلك أعطاك الجنة.

قال بعض السلف: (لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس).

الدنيا قصيرة مهما طالت، قليلة مهما كثرت.

دار القرار هي الجنة، دار المقامة، دار النعيم، انظر إلى غيرك من المبتلين يهون عليك ما أنت فيه من البلاء، قال تعالى:" لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" (سورة النور: 11)

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:" مَا أُبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحْتُ عَلَى مَا أُحِبُّ أَوْ عَلَى مَا أَكْرَهُ، لأَنِّي لا أَدْرِي الْخَيْرُ فِيمَا أُحِبُّ أَوْ فِيمَا أَكْرَهُ؟ "[[29]](#footnote-29)

المهم أن المصيبة ليست في الدين.

وقال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر، إلا كان ما عوَّضه خيرًا مما انتزع منه، ثم قرأ: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزمر:10])[[30]](#footnote-30)

قالَ شُرَيْحٌ القاضي -رحمه الله-: ((إِنِّي لأُصَابُ بِالمُصِيبَةِ، فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمُدُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي))[[31]](#footnote-31).

تذكر ما في البلاء من لطائف:

(١) تذكير للعبد بذنوبِه فلربَّما تابَ منها.

(٢) رجوع العبد إلى ربِّه وزوال قسوة قلبه.

(٣) تضرعه إلى ربِّه وإقباله على الله وانقطاعه عن الخلق.

(٤) معرفة قدر العافية وشكر الله على نعمه؛ نعمة العافية، الصحة، والسمع والبصر وغيرها من النعم، فيتسلى عن المصائب.

وأخيرًا، نحن الذين نحتاج للعبادة والطاعة والرجوع إلى الله، والله -عز وجل-غنيٌّ عنَّا وعن عبادتنا، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ " (سورة فاطر: 15).

هذه موعظة وذكرى؛ قال تعالى: "إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ " (سورة فاطر: 18).

لابد أن نصلح أحوالنا مع الله قبل أن يأتينا ملكُ الموت.

واعلم أنه لن ينجيك شيء إلا عملك الصالح، لا مال ولا جاه ولا ولد؛ قال تعالى:" وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ " (سورة سبإ: 37).

أقبل على الله بالطاعات واستعد للقائه واصبر على قضائه، فإن الموعد الجنة، والنعيم في الجنة، والخلود في الجنة.

قال تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)" (سورة فاطر).

الجنة هي المستراح ليس فيها تعب ولا نصب، اصبر على تعب الدنيا أيام قليلة لتنالي الراحة الأبدية والنعيم السرمدي؛ قال تعالى:" جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)" سورة فاطر.

- اللهم ارحم الشيخ صادق، اللهم اغفر له وارحمْهُ وعافِهِ واعفُ عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقِّهِ من الذنوب والخطايا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس.

اللهم أبْدِلْه دارًا خيرًا من دارِه وأهلًا خيرًا من أهلِه، اللهم عامِلْهُ بما أنتَ أهلُه واجزه عن الإحسان إحسانًا وعن التقصير عفوًا وغفرانًا، آنِسْه في وحدتِه، آنسه في وحشته، اللهم أنْزِلْه منازلَ الصديقين والشهداء والصالحين، اجعل قبرَهُ روضة من رياضِ الجنة، اللهم افسح له في قبرِه ونَوِّرْ له فيه، قهر عذاب النار وعذاب القبر.

اللهم هذا عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِك، يشهد لكَ بالوحدانية ولرسولِك بالرسالة، خرج من الدنيا من بين أهلِه وأولادِه إلى القبر وما فيه، اللهم ارحمه برحمتك وأسْكِنْهُ جنَّتَك وارحمْ موتى المسلمين، اللهم ارحمْنَا إذا صِرْنَا إلى ما صَارُوا إليه

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

1. 1) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (1/ 128) رقم (588)، وابن عساكر في تاريخ دمشق(56/ 416)، وأورده صاحب إحياء علوم الدين (4/ 487)، وكذا عبد الحق الأشبيلي في العاقبة في ذكر الموت (1/ 200). [↑](#footnote-ref-1)
2. ) صحيح الترمذي (2516). [↑](#footnote-ref-2)
3. ) صحيح البخاري (2856). [↑](#footnote-ref-3)
4. ) صحيح مسلم (1978). [↑](#footnote-ref-4)
5. ) صحيح الجامع (4338)، حديث حسن. [↑](#footnote-ref-5)
6. ) صحيح مسلم (93). [↑](#footnote-ref-6)
7. ) صحيح البخاري (4477). [↑](#footnote-ref-7)
8. ) أخرجه الترمذي (2621)، والنسائي (463)، وابن ماجه (1079)، وأحمد (22987)، حديث صحيح. [↑](#footnote-ref-8)
9. ) الإيمان لابن أبي شيبة (103)، إسناده صحيح على شرط الشيخين. [↑](#footnote-ref-9)
10. ) صحيح مسلم (2695). [↑](#footnote-ref-10)
11. ) صحيح الترغيب (1595). [↑](#footnote-ref-11)
12. ) صحيح ابن ماجه (3134). [↑](#footnote-ref-12)
13. ) صحيح الجامع (7865). [↑](#footnote-ref-13)
14. ) صحيح الأدب المفرد (361). [↑](#footnote-ref-14)
15. ) صحيح الترغيب (2644). [↑](#footnote-ref-15)
16. ) صحيح البخاري (5353). [↑](#footnote-ref-16)
17. ) صحيح مسلم (804). [↑](#footnote-ref-17)
18. ) صحيح مسلم (2699). [↑](#footnote-ref-18)
19. ) صحيح البخاري (3701). [↑](#footnote-ref-19)
20. ) صحيح مسلم (1914). [↑](#footnote-ref-20)
21. ) صحيح الجامع (5955). [↑](#footnote-ref-21)
22. ) صحيح البخاري (1410). [↑](#footnote-ref-22)
23. <https://dorar.net/hadith/sharh/1911>) الدرر السنية-الموسوعة الحديثية، [↑](#footnote-ref-23)
24. ) صحيح الترغيب (872). [↑](#footnote-ref-24)
25. https://dorar.net/hadith/sharh/149018) الدرر السنية-الموسوعة الحديثية، [↑](#footnote-ref-25)
26. ) صحيح البخاري (5667). [↑](#footnote-ref-26)
27. ) صحيح البخاري (6424). [↑](#footnote-ref-27)
28. ) صحيح مسلم (2956). [↑](#footnote-ref-28)
29. ) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (425)، والإمام أحمد في "العلل" رواية عبد الله (1/447)، وأبو داود في "الزهد" (103)، والدولابي في "الكنى والأسماء" (3/987)، وابن أبي الدنيا في "الرضا عن الله" (30)، وفي "الفرج بعد الشدة" (13)، نقلا عن شبكة الألوكة-المجلس العلمي https://majles.alukah.net/t114595/ [↑](#footnote-ref-29)
30. https://dorar.net/akhlaq/797/((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص 30)، نقلا عن موقع الدرر السنية ) [↑](#footnote-ref-30)
31. https://dorar.net/akhlaq/797/ ، نقلا عن موقع الدرر السنية (4/105)) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي [↑](#footnote-ref-31)